شرح رسالة

إجابةُ الدعاء

لا يُنافي سَبْقَ القضاء

للعلامة المحقق

محمد بن علي الشوكاني

رحمه الله وطيّب ثراه

قرأها وعلَّق عليها

أبو عائش محمد بن سميح فاضل الشَّيخ

عَفا الله عنه

إن الحمد لله, نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله, صل الله عليه, وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فنعاود اللقاء اليوم إن شاء الله مع رسالتين جديدتين من رسائل هذا الملتقى الشهري: رسالتان في يومٍ, واليوم إن شاء الله مع رسالتين للعلامة المحقق محمد بن علي الشوكاني.

المؤلف هو محمد بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني.

أما الشوكاني فنسبة إلى هجرة شوكان, وهي قرية من قرى السحامية.

والصنعاني نسبة إلى مدينة صنعاء التي استوطنها والده ونشأ فيها بعد ولادته في الهجرة.

وأما مولده ونشأته: فيذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ترجمته لنفسه تاريخ مولده, فيقول كما في البدر الطالع:

إنه ولد في نهار يوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف من هجرة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, فحفظ القُرآن وجوَّده, وحفظ عددًا كبيرًا من المتون قبل أن يبدأ عهد الطلب, ونبغ صغيرًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وإذا علمنا أنه تصدَّر للإفتاء وهو في سن العشرين عرفنا كيف كانت حياة هذا الطالب, فكان مُجِّدًا في طلب العلم, وكان أبوه رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يسمح له بشيء غير

الاشتغال بالعلم, وكانت دروسه تبلغ في اليوم والليلة نحو ثلاثة عشر درسًا: منها ما يأخذه عن مشايخه, ومنها ما يأخذه عنه تلامذته, واستمر على ذلك مدة.

وكان كثير القراءة كثير الحضور عند المشايخ, واسع الثقافة, وكان ذكيا فطنا رحمه الله, متقنًا لكثير من الفنون في الحَدِيث وعلومه, والقرآن والفقه والأصولِ, وصنَّف في كل ذلك كما سيأتي, حتى إنه بلغ رتبة الاجتهاد وهو دون الثلاثين.

ويكفي في بيان منزلته: ما ذكره العلامة محمود شاكر في رسالته في الطريق إلى ثقافتنا أنه ذكر أن بذور النهضةِ في عصرنا والتي بقي تأثيرها حتى اليوم خمسة: كلهم عاش في القرن الثامن عشر, وهؤلاء الخمسة هم الجبرتي المصري الكبير, وهو والد عبد الرحمن الجبرتي المؤرخ, والبغدادي عبد القادر صاحب خِزانة الأدب, والشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ, والمرتضى الزبيدي صاحب تاج العروس, وإمامنا ومحققنا محمد بن علي الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

تولى رَحِمَهُ ٱللَّهُ القضاء صغيرًا في سنة تسع ومائتين وألف من هجرة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن توفي كبير قضاة اليمن, فولي القضاء مكانه, وكان له شيوخٌ كُثر عدَهم محقق فتاويه في كتابه الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني الشيخ صبحي حلَّاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ فأوصلهم إلى سبعة عشر شيخًا.

وأما تلاميذه: فقد أوصلهم إلى ما يزيد على التسعين تلميذًا.

وله كثير من المؤلفات: في الفقه والأصول والتفسير واللغة وغير ذلك منها:

- الدراري المُضية شرح الدرر البهية في المسائل الفقهية
- وأدب الطلب ومنتهى الأَرَب
- وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير

- ونيل الأوطار
- والسيل الجرار
- والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة
- وإرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، إلى غير ذلك من المؤلفات التي ألفها رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

من ضمن مؤلفاته هذه الرسالة التي معنا اليوم والتي ألفها إجابة عن مسألة اختلف فيها الناس, وهي: هل يتعارض الدعاء مع سبق القضاء؟ فالمرء يدعو ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ رجاء أن يجيبه, والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قضى كل شيء وقدَّره في الأزل, فهل يتعارض إجابة الدعاء من قِبل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مع سابق علمه وتقديره الذي كتبه في الأزل؟ هذا ما أراد أن يحققه المصنف ها هنا وأن يجيب عليه.

فكانت رسالته بعنوان: إجابة الدعاء لا ينافي سبق القضاء.

والإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإِيمَان الستة التي يجب على كل مسلم أن يؤمن بها, وهي الواردة في حديث جبريل عليه السلام أم السُنَّة كما أن الفاتحة أم القُرآن, لحديث جبريل الذي جاء فيه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان, يسميه علماؤنا بأم السُنَّة فهو عُمدتها.

وهذه الأركان مَن كذَّب بواحد منها كذَّب بسائرها.

ودليل وجوب الإِيمَان بالقضاء والقدر: حديث جبريل عليه السلام لمَّا سأل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما الإِيمَان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله, وباليوم الآخِر, وبالقدر خيره وشره», فذكر الركن السادس من أركان الإِيمَان.

وكذلك ما جاء في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى من ذكر هذه الأركان, وإن لم يُذكر معها القدر صراحة, فأركان الإيمان لمَّا ذُكرت في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذكر اللهُ خمسة منها دون ذِكر القدر, فقال الله عَزَّ وَجلَّ: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ﴾ [البقرة: 177].

وفي سورة النساء قال الله عَزَّ وَجلَّ: ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: 136], فذكر خمسة من هذه الأركان ولم يذكر القدر صراحةً.

وهذا لا يطعن في الإيمان بالقضاء والقدر, ولا يُنزِله عن رُتبة هذه الأركان الخمسة؛ لأن الإيمان بالقضاء والقدر داخلٌ في هذه الأركان الخمسة, إذ إنه داخلٌ في الإيمان بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ربًا:

فالله عَزَّ وَجلَّ هو الذي يُدبِّر هذا الكون ويصرِّفه, له الخلق والأمر, والخلق مرتبة من مراتب القدر.

وهو داخلٌ كذلك في الإيمان بأسماء الله وصفاته: فمن أسمائه سُبْحَانَهُوَتَعَالَى القدير والقادر والمقتدر, وداخل في صفاته كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ [المزمل: 20], وسائر الأركان الأخرى من الإيمان بالملائكة والكُتب والرسل واليوم الآخِر هذه داخلة في تقدير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الجاري على مقتضى حكمته, فكان من تقديره أن يُنزل الكتب ويُرسل الرُسل, وأن يبعث الناس للحساب.

فالقدر إما أن يدخل في هذه الأركان وإما أن تدخل هذه الأركان فيه.

والإيمان بالقضاء والقدر أركانه أربعة:

1- أن تؤمن بعلم الله السابق, فعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو, ﴿ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام: 59], أحاط بكل شيء علمًا, وأحصى كل شيء عددًا, ولا يحيطون بشيءٍ من علمه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ, له صفة العلم وله الكمال في العلم.

2-والمرتبة الثانية: الإيمان بكتابته لمقادير الخلائق قبل أن يخلقها, فإن الله عَزَّ وَجلَّ كتب كل شيءٍ قبل خلقه, كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج: 70], والكتاب هو اللوح المحفوظ الذي أمر الله عَزَّ وَجلَّ أن يكتب فيه كل شيء, فإن الله لمَّا خلق القلم قال له: اكتب, قال: ما أكتب؟ قال: اكتب كل ما هو كائن إلى يوم القيامة, فجرى القلم بما قدَّره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

قال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد: 22]: أي من قبل أن نخلقها.

3-والمرتبة الثالثة: الإيمان بمشيئة الله النافذة, فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن, ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الإنسان: 30], وهذه المشيئة لا يخرج عنها أحدٌ من خلقه.

4-والمرتبة الرابعة والأخيرة: وهي خلق الله للأشياء, هذا الخلق الذي جرى على مقتضى مشيئته وكتابته وعلمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ, فالله خالقُ كل شيء.

ومن أعظم ما يجنيه المؤمن من العقيدة: أن يصح إيمانه بالقضاء والقدر, فهذه والله نعمة ما بعدها نعمة: فالإيمان بالقضاء والقدر له أهميةٌ عظيمة: مَن حقق هذا الإيمان تحصَّل له كثيرٌ من الفوائد التي دلنا الله عليها تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كتابه, وكذلك نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن ذلك:

- الرضا واليقين الذي يصيب العبد بسبب إيمانه بالقضاء والقدر, ونحن نعلم أن العبد إنما خُلق للابتلاء, ونعلم أن الجنة حُفت بالمكاره, كما أن النار حُفت بالشهوات, فلا بد أن يصيبه البلاء في هذه الحياة الدنيا.

والله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن: 11], قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عن الله فيرضى ويُسلِّم.

وانظر إلى خاتمة الآية: قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن: 11], فلا يقع شيءٌ في هذا الكونِ من المصائب والبلايا التي تصيب الإنسان إلا على مقتضى علمه وحكمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وفي حديث صُهيب قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير, وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن: إن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له, وإن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له», فالإيمان بالقضاء والقدر يحمل المرء على الرضا واليقين في موعود الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

▪ كما أن الإنسان الذي يؤمن بالقضاء والقدر ويثبت على ذلك يتحصَّل له الأجر العظيم من قِبل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى, كما قال الله عَزَّ وَجلَّ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: 155], الصابرين على مقتضى ما عندهم من الإيمان بالقضاء والقدر, فصبروا على بلاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة: 155، 156], هذا هو الإيمان بقضاء الله وقدره.

ما جزاؤهم عند الله عَزَّ وَجلَّ؟ لهم جوائز ثلاثة: ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: 157], فجمع الله عَزَّ وَجلَّ هذه الجوائز الثلاثة للمؤمن بالقضاء والقدر.

وأما الذي يجزع ويعترض على قضاء الله وقدره فلا ينال هذه الجوائز, ولذلك لمَّا وجد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امرأة تبكي عند المقابر, فكلمها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, وقال لها: «اتق الله واصبري», يعني هذا قضاء الله وقدره, كانت تجزع, فقالت: إليك عني, إنك لم تُصَب بمصيبتي, وكانت لا تعرفه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, فلما أُخبرت أن ذلك رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, ذهبت إليه ولم تجد عنده بوابين, فدخلت على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, واعتذرت إليه, فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى», أي الصبر الذي يُجزى عليه العبد هذا الجزاء الذي ذكره الله عَزَّ وَجلَّ في هذه الآية إنما يكون ذلك عند الصدمة الأولى.

▪ ومن جزاء الإيمان بالقضاء والقدر كذلك: أن يدخل العبد الجنة, كما جاء في قصة المرأة السوداء كما في حديث عبد الله بن عباس لمَّا قال لعطاء: ألا أُريك امرأة

من أهل الجنة؟ هذه المرأة التي تُصرع هذه المرأة السوداء, جاءت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقالت: يا رسول الله إني أُصرع, فادع الله لي, فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن شئتِ دعوت الله, وإن شئت صبرتِ ولك الجنة؟», أي تصبر على قضاء الله وقدره, فقالت: يا رسول الله أصبِر, ولكني أتكشف, فادع الله ألا أتكشف, فدعا لها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فبيَّن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الجزاء على الصبر على البلاء بسبب الإيمان بالقضاء والقدر إنما هو الجنة.

- وكذلك هو سبيلٌ لذهاب الهم والغم والندم على ما فات: كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خيرٍ, احرص على ما ينفعك, واستعن بالله ولا تعجز, وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا, ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل, فإن لو تفتح عمل الشيطان».

وغير ذلك من الثمرات التي يجنيها المرء إذا وُفِّق للإيمان الصحيح بالقضاء والقدر.

لكن الإيمان بالقضاء والقدر لا ينافي الأخذ بالأسباب؛ فالله عَزَّ وَجلَّ كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق الخلق, ومع ذلك أمرنا أن نأخذ بالأسباب لكي نوفَّق إلى ما عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

كما قلنا: العلامة الشوكاني كتب هذه الرسالة ليجمع بين ما جاء في الشرع من أهمية الدعاء ومن استجابة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى للداعين, وما هو معلوم من كتابة الله عَزَّ وَجلَّ لمقادير الخلائق, أراد أن يبين ألا تعارُض بين الأمرين في هذه الرسالة.

متن الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وآله وصحبه الأكرمين. اعلم –وفقك الله وإياي– أنه قد وقع الخلاف بين أهل العلم، وطالت ذيوله، وتشعبت أبحاثه في التعارض بين ما ورد من أن القضاء الأزلي من الله –عز وجل– لا يتغير ولا يتبدل، وهو المعبر عنه بأم الكتاب بقوله تعالى: لا معقب لحكمه وقوله: ما يبدل القول لدي ، وبين ما ورد من الإرشاد إلى الأدعية، وطلب الخير من الله عز وجل، وسؤاله أن يدفع الشر، ويرفع الضر، وسائر المطالب التي [يطلبها] العباد من ربهم –سبحانه– كقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر " أخرجه الترمذي من حديث سلمان وحسنه، وابن حبان ، وصححه، والحاكم وصححه، والطبراني في الكبير ، والضياء في المختارة ومثله حديث ثوبان مرفوعًا بلفظ: " لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر، وإن الرجل ليُحرم الرزق بالذنب يصيبه" وكقوله: " لا يغني حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة " أخرجه الحاكم في المستدرك ، والبزار ، والطبراني في الأوسط ، والخطيب قال الحاكم: صحيح الإسناد من حديث عائشة مرفوعًا. وقال في مجمع الزوائد.

وقد ضعف هذا الحديث بزكريا بن منظور ، وكما ذكرته في شرحي للعدة.

ومن ذلك ما أخرجه أبو داود والترمذي ، وابن ماجه وابن حبان وصححه عن سلمان الفارسي قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إن ربكم حيي

كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا " وأخرجه أيضًا الحاكم وقال :حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وله شاهد صحيح. ثم رواه من حديث أنس مرفوعا " :إن الله رحيم حيي كريم يستحي من عبده أن يرفع إليه يديه، ثم لا يضع فيهما خيرا " وأخرجه الطبراني ، وأبو يعلى . ومن ذلك قوله " :لا تعجزوا في الدعاء، فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد ". أخرجه ابن حبان من حديث أنس، والحاكم في المستدرك، وقال :صحيح الإسناد، والضياء في المختارة وقد رددت في شرحي للعدة على من ضعفه.

ومن ذلك :ما أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة، والحاكم في المستدرك وقال :صحيح الإسناد، وأقره الذهبي. وأخرجه أيضًا من حديث سلمان وقال: صحيح الإسناد.

ومن ذلك ما أخرجه الحاكم في المستدرك من حديث أبي هريرة، وقال صحيح الإسناد .قال :قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " :الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونور السماوات والأرض ." وأخرجه أبو يعلى من حديث علي بهذا اللفظ، وأخرج أبو يعلى من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ألا أدلكم على ما ينجيكم من عدوكم، ويدر لكم أرزاقكم؟ تدعون الله في ليلكم ونهاركم، فإن الدعاء سلاح المؤمن.... "

وأخرج أحمد في المسند من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " :ما من مسلم ينصب وجهه لله في مسألة، إلا أعطاه إياها، إما أن يعجلها له، وإما أن يدخرها له ." قال المنذري في الترغيب والترهيب ، لا بأس بإسناده، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد ، والحاكم

ويشهد لمعناه ما أخرجه أحمد ، والبزار، وأبو يعلى قال المنذري ، بأسانيد جيدة من حديث أبي سعيد الخدري :أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: " ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم، ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث :إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها."

وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه وأبو داود ، والترمذي، والنسائي ، وابن حبان قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " :الدعاء هو العبادة، ثم تلا : وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي وصححه الترمذي وابن حبان ، والحاكم. وأخرج الترمذي من حديث أنس قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ":الدعاء مخ العبادة."وأخرج الترمذي والحاكم في المستدرك وصححه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :"من لم يسأل الله يغضب عليه ." وفي لفظ " :من لم يدع الله يغضب عليه " أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف والحاكم في المستدرك وصححه.

ومن ذلك استعاذته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من سوء القضاء كما في صحيح مسلم وغيره

ومن ذلك ما ثبت في قنوت الوتر عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال فيه: " وقني شر ما قضيت " وهو حديث صحيح، وإن لم يخرجه الشيخان وفيهما الاستعاذة من القضاء المشتمل على الشر والسوء.

ومن ذلك الأحاديث الواردة في صلة الرحم، وأنها تزيد في العمر وهي أحاديث صحيحة.

ومن ذلك الأحاديث الواردة في إجابة دعاء المظلوم على ظالمه. والأحاديث الواردة في دعاء الوالدين لولدهما. والأحاديث الواردة في دعوة الإمام العادل ، والأحاديث الواردة في إجابة دعوة من دعا الله باسمه الأعظم ، وغير ذلك كثير، وجميع ذلك على اختلاف دلالته متواتر.

فليت شعري؟! كيف ذهب جماعة من أهل العلم إلى مخالفة ذلك كله وقالوا : إن أحكام الله وقضاءه في سابق علمه، لا تتغير أصلا ؟!. فإن استدلوا بمثل قوله تعالى: ما يبدل القول لدي ، وما ورد في اللوح المحفوظ، وما كتب فيه، وأنه قد حق القضاء ونحو ذلك، فأي فائدة في مثل قوله عز وجل: ادعوني أستجب لكم ، فإن هذا أمر منه لعباده بدعائه، وأي فائدة في أمر رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن يخبر عباده بأنه قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه؟ وأي فائدة في قوله –عز وجل–مخبرا لعباده. يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ، كيف وقد علمنا سبحانه كيف ندعو في نحو قوله: ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطانا ....إلى آخر الآية، وحكى لنا رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كما ثبت في الصحيح أن الله عز وجل قال عن هذه الدعوات: قد فعلت؟؟ وكذلك سائر ما قصه الله علينا في كتابه من إجابته لدعوة أنبيائه كما في قوله عز وجل : حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا ؟. وفي مثل: إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، وما يشابه ذلك من الآيات وما شوهد من نبينا –عليه الصلاة والسلام– من إجابة دعواته في مواطن يتعسر إحصاؤها ، وما شوهد من صالحي هذه الأمة في كل قرن من القرون، من إجابة دعواتهم في الحال. ومن جهل هذا، أو بعضه، نظر في مثل حلية الأولياء ، ومثل رسالة القشيري ، ومثل صفوة الصفوة

لابن الجوزي ، وغير ذلك مما يكثر تعداده. بل ينظر الدعوات المجابة من الصحابة -رضي الله عنهم- كما دوَّناه في البحث الذي قبل هذا.

كما وقع مع جماعة كثيرة من السلف -رحمهم الله- أنهم كانوا يقولون في أدعيتهم: " اللّهم إن كنت قد كتبتني في ديوان الأشقياء فانقلني إلى ديوان السعداء " بعبارات مختلفة هذه أحدها.

وبالجملة فالكتاب العزيز، والسنة المتواترة، ترد عليهم ردا أوضح من شمس النهار. وطائفة قالت: إن الأقضية على نوعين: مطلقة ومقيدة. فالمطلقة ما لم تكن مشروطة بشرط، واقعة، وإلا فلا.

وهذا القول وإن كان مردودا مثل الأول، إلا أنه أقل مفسدة منه، وإن كان رأيا بحتا ليس عليه دليل. وبالجملة فالبحث يطول. فلنقتصر على هذا المقدار، والحمد لله أولا وآخرا، والصلاة والسلام على رسوله وآله. الحمد لله، كمل للحقير أحمد بن محمد الشوكاني -غفر الله لهما- النظر فيه - جزى الله مؤلفه أفضل الجزاء، ونفعه بعلمه النافع في دار البقاء، وتغشاه برحمته ورضوانه – آمين.

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيد المرسلين, وآله وصحبه الأكرمين.

اعلم وفقك الله وإياي أنه قد وقع الخلاف بين أهل العلم وطالت زيوله, وتشعبت أبحاثه في التعارض بين ما ورد من أن القضاء الأزلي من الله عَزَّ وَجلَّ لا يتغير ولا يتبدل, وهو المعبَّر عنه بأم الكتاب, بقوله تعالى: ﴿ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ﴾ [الرعد: 41], وقوله تعالى: ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ ﴾ [ق: 29], وبين ما ورد من الإرشاد إلى الأدعية وطلب الخير من الله عَزَّ وَجلَّ وسؤاله أن يدفع الشر. ويرفع الضُر, وسائر المطالب التي يطلبها العباد من ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ, كقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يرد القضاء إلا الدعاء, ولا يزيد في العمر إلا البر», أخرجه الترمذي من حديث سلمان وحسنه, وابن حبان وصححه, والحاكم وصححه, والطبراني في الكبير والضياء في المختارة, وهو حديث ثابت عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومثله حديث ثوبان مرفوعًا بلفظ: «لا يرد القدر إلا الدعاء, ولا يزيد في العمر إلا البر, وإن الرجل ليُحرم الرزق بالذنب يصيبه», وهذا كذلك حديث ثابت عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يُغني حذر من قدر, والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل, وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة», ومعنى يعتلجان

أي يتصارعان, قال: أخرجه الحاكم في المستدرك والبزار والطبراني في الأوسط والخطيب, وقال الحاكم: صحيح الإسناد من حديث عائشة مرفوعًا.

وقال في مجمع الزوائد وبيَّن المحقق أنها من إضافة النُسَّاخ ولذلك ذكرها في الحاشية.

قال: وقد ضُعِّف هذا الحَدِيث بزكريا ابن منظور, وكما ذكرته في شرحي للعُدة, يعني تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين, وهو كتاب أَلَّفه في الأذكار.

قال: وقد ضُعف هذا الحَدِيث بزكريا ابن منظور, وكما ذكرته في شرحي للعُدة.

وهذا الحَدِيث حسنه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبدأ أمره في المشكاة, ثم تبين له بعد ذلك ضعفه, فحكم عليه بالضعف الشديد في الضعيفة برقم 6764, فالحديث ضعيف جدًا وإن تعددت طرقه التي ذكرها الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال: ومن ذلك ما أخرجه أبو داوود والترمذي وابن ماجة وابن حبان وصححه عن سلمان الفارسي قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن ربكم حييٌ كريم, يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرًا», قال: وأخرجه أيضًا الحاكم وهو حديث صحيح ثابت عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين, ولم يخرجاه, وله شاهدٌ صحيح, ثم رواه من حديث أنس مرفوعًا: «إن الله رحيم, حيي كريم, يستحي من عبده أن يرفع إليه يديه, ثم لا يضع فيهما خيرًا», وأخرجه الطبراني وأبو يعلى.

ومن ذلك قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تعجزوا في الدعاء, فإنه لن يهلَك مع الدعاء أحد».

قال: أخرجه ابن حبان من حديث أنس, والحاكم في المستدرك, وقال: صحيح الإسناد, والضياء في المختارة, قال: وقد رددت في شرحي للعدة على مَن ضعفه, والحديث إسناده ضعيف جدًا, لكنه حسنٌ بمجموع طرقه كما بيَّن الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومن ذلك ما أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة والحاكم في المستدرك وقال: صحيح الإسناد, وأقره الذهبي, وأخرجه أيضًا من حديث سلمان وقال: صحيح الإسناد.

ومن ذلك ما أخرجه الحاكم في المستدرك من حديث أبي هريرة, وقال: صحيح الإسناد, قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين, ونور السماوات والأرض», قال: وأخرجه أبو يعلى من حديث علي بهذا اللفظ, وهو حديث لا يصح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, حديث موضوع كما حكم عليه الألباني في الضعيفة, لأن فيه محمد بن الحسن بن أبي يزيد وهو كذاب متروك, فالحديث لا يصح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: وأخرج أبو يعلى من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ألا أدلكم على ما ينجيكم من عدوكم, ويُدر لكم أرزاقكم؟ تدعون الله في ليلكم ونهاركم فإن الدعاء سلاح المؤمن», وهو كسابقه لا يصح.

وقد يقول قائل: إذا كانت هذه الأحاديث ضعيفة, فلماذا يذكرها المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ؟

نقول: هذه عادة أهل العلم: أنهم يذكرون هذه الأحاديث لعدة أسباب:

- إما أن تكون مندرجة تحت أصل كلي صحيح كآية أو أحاديث أخرى صحيحة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, فلا تكون هذه الأحاديث الضعيفة هي العمدة, وإنما جاءت مُعضِّدة لهذا الأصل.
- وإما أن تكون هذه الأحاديث بمجموع طرقها ترتقي إلى درجة القَبول.
- وإما أن يذكرها المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ بذكر إسنادها ومواضعها, ومَن أسند فقد أحال, فهو يحيلك إلى المكان الذي تستطيع من خلاله أن تعرف حكم الحَدِيث ودرجته, فلا يُعاب على أهل العلم في ذلك.

وهذا الأمر الذي نحن فيه وهو شأن الدعاء والأمر به والترغيب فيه هذا تواترت النصوص في بيان فضله ومنزله.

فذكر هذه الأحاديث الضعيفة إنما هو من باب الشاهد والمُعضد لهذا الأصل.

قال: وأخرج أحمد في المسند من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما من مسلم ينصب وجهه لله في مسألة إلا أعطاه إياها: إما أن يعجِّلها له, وإما أن يدخرها له», حديث عظيم يقول فيه النبي الأمين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو حديث صحيح لغيره, يقول: «ما من مسلم ينصب وجهه لله في مسألة»: أي يتضرع لله عَزَّ وَجلَّ, إلا أعطاه الله إياها: إما أن يعطيه هذه المسألة, إما أن يعجلها له في الدنيا, وإما أن يدخرها له في الآخرة.

فالمسلم مستفيد على كل حال من دعائه, ولذلك نهانا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نتعجل الإجابة, فقال: «يُستجاب لأحدكم ما لم يُعجِّل أو ما لم يستعجل», قيل: يا رسول الله وكيف يتعجل؟ قال: «يقول: دعوت الله فلم يستجب لي».

فالله عَزَّ وَجلَّ قد يؤخر الإجابة لحكمة تغيب عن الإنسان.

فقال: «ما من مسلم ينصب وجهه لله في مسألة إلا أعطاه إياها: إما أن يعجلها له, وإما أن يدخرها له», قال: قال المنذري في الترغيب والترهيب: لا بأس بإسناده, وأخرجه البخاري في الأدب المفرد والحاكم.

ويشهد لمعناه: ما أخرجه أحمد والبزار وأبو يعلى قال المنذري: بأسانيد جيدة من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «ما من مسلم يدعوا بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم, إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تُعجل له دعوته, وإما أن يدخرها له في الآخرة, وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها», وهذا الحَدِيث يبين لنا بعض آداب الدعاء:

فالإنسان إذا دعا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فلا يجوز له أن يدعوا إلا بالمعروف, لا يدعوا بإثمٍ ولا قطيعة رحم, زِد على ذلك ما جاء في الأحاديث الأخرى من آداب الدعاء: من البدء بالثناء على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى, كما في حديث الكرب, ومن الصلاة والسلام على النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ, ومن عدم التعجل, ومن اختيار الأماكن الفاضلة والأزمنة الفاضلة ووقت السحر, والسجود, وبين الأذان والإقامة.

فهذه الأمور لو تحراها الإنسان في دعائه أجاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى دعائه ورزقه الخير الكثير منه.

وهذا الحَدِيث الذي ذكره المصنف حديث صحيح, وقد ذكره شاهدًا للحديث الذي قبله.

قال: وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه وأبو داوود والترمذي والنسائي وابن حبان, قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «الدعاء هو العبادة», وهذا هو اللفظ

الثابت عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, حديث النعمان بن بشير: «الدعاء هو العبادة», وأما الدعاء مخ العبادة فليس بحديث ثابت عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدعاء هو العبادة, ثم تلا قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: 60]», قال: وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم, وأخرج الترمذي من حديث أنس قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدعاء مخ العبادة», وهذا اللفظ لا يثبت عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذا الحَدِيث الذي معنا وهو حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدعاء هو العبادة», مع ما سبق من الأحاديث يبين لنا فضل الدعاء وأهميته؛ إذ إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحَدِيث سماه عبادة, فقال: «الدعاء هو العبادة».

بل جاء كلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صورة بلاغية تفيد الحصر. وهو تعريف طرفي الجملة الإسمية, فالجملة الإسمية لها مبتدأ وخبر, فإذا عُرِّف المبتدأ والخبر أفادت الحصر, فكأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: إنما العبادة هي الدعاء, فاحرص عليه.

ولم يكتف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك, بل جاء بضمير الفصل, لم يقال الدعاء العبادة, بل قال: «الدعاء هو العبادة», وضمير الفصل يفيد التوكيد, فأكّد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك بهذا الضمير الذي يأتي بين المبتدأ والخبر.

فالدعاء عبادة عظيمة, والعبادة من أجلها خُلقنا, قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: 56], فالله يحبه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والدعاء كذلك يُظهر فقر العبد وحاجته إلى ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ, وينفي عنه الكبر, ويرزقه التواضع, كما جاء في الآية التي قرأها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, قال: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾ [غافر: 60], فسماه عبادة وذم المستكبرين عن العبادة التي هي الدعاء, فالإنسان بدعائه ربَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يتواضع ويخضع ويذل له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وكذلك كما سيرد فإنه من أعظم الأسباب التي عُلِّق عليها وقوع المقدور, فالدعاء يقع المقدور بحصوله, فإذا دعا المرء ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تحقق له ما كتبه الله عَزَّ وَجلَّ في الأزل.

وهو كذلك أكرم شيء على الله, كما صح عن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «ليس شيءٌ أكرم على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من الدعاء», فالله عَزَّ وَجلَّ يحبه ويكرمه ويكرم صاحبه ويُنزله المنزلة اللائقة به, فكل ذلك يبين لنا فضل الدعاء.

قال رحمه الله: وأخرج الترمذي والحاكم في المستدرك وصححه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن لم يسأل الله يغضب عليه», وفي لفظ: «من لا يدع الله يغضب عليه», وهو حديث حسنٌ ثابت عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, وفي لفظ: «من لم يدع الله يغضب عليه», وهذا مما فارق فيه الخالق المخلوق:

فالله يغضب إن تركت سؤاله ... وبُني آدمَ حين يُسألُ يغضبُ
لا تسألن بُنيَّ آدم حاجة ... وسل الذي أبوابه لا تُحجبُ

***

قال: أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف والحاكم في المستدرك وصححه.

قال رحمه الله: ومن ذلك استعاذته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من سوء القضاء كما في صحيح مسلم وغيره, هذا ثابت عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في البخاري أيضًا من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتعوذ من سوء القضاء, ومن درك الشقاء, ومن شماتة الأعداء, ومن جَهد البلاء.

قال: ومن ذلك ما ثبت في قنوت الوتر عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «وقني شر ما قضيت», وهو حديث صحيح, وإن لم يُخرجه الشيخان, وفيه الاستعاذة من القضاء المشتمل على الشر والسوء.

ما نوع ما في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وقني شر ما قضيت»؟

هل هي موصولة أم نافية أم مصدرية؟

لو كانت موصولة فهذا يعني وقني شر الذي قضيت, فهي موصولة وليست مصدرية, فالمراد المَقضي, وأما لو كانت مصدرية فهي وما بعدها في تأويل مصدر, فتكون : وقني شرَّ قضائِك, وقضاء الله عَزَّ وَجلَّ الذي هو فِعلُه ليس فيه شر, لأن الشر ليس إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى, بل كله خير، وعلى هذا القول نحتاج للتأويل.

فالشر يقع في خلقه في مفعولاته, ومع ذلك إذا كان المقضي شرًا, إذا كان هذا المخلوق شرًا فإنه لا يكون إلا لحكمة, فالمرض مثلًا قد يعترض عليه المرء لأنه يظن أنه شر, وفيه خيرٌ كثير.

الإنسان إذا مرض عرف قدر الصحة, الإنسان لا يعرف كثيرًا من النعم إلا إذا حُرم منها, فإذا مرض عرف قدر الصحة, وقد يكون هذا المرض سببًا في توبته ورجوعه إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ومعرفته قدر نفسه وضعفه, فيعرف كل هذه الأمور بسبب هذا المرض الذي ظنه شرًا في بادئ الأمر.

فكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «وقني شر ما قضيت».

قال رحمه الله: ومن ذلك الأحاديث الواردة في صلة الرحم وأنها تزيد في العمر, وهي أحاديث صحيحة, وسيأتي ذكر بعضها, والذي رجحه المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الأحاديث كقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن أراد أن يُبسط له في رزقه, وأن يُنسأ له في أثره فليصل رحمه», الذي رجحه المصنف كما في تفسيره أن الزيادة ها هنا زيادة حقيقية وليست البركة وكثرة الأعمال.

فالله عَزَّ وَجلَّ يزيد المرء بصلة رحمه زيادة حقيقية كما سيأتي في بيان ذلك.

قال: وهي أحاديث صحيحة, ومن ذلك الأحاديث الواردة في إجابة دعاء المظلوم على ظالمه, فإن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال كما في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «اتقوا دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب».

قال: والأحاديث الواردة في دعاء الوالدين لولدهما, ومن ذلك: ما جاء عند أبي داوود والترمذي قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثلاث دعوات مستجابات, لا شك فيهن: دعوة الوالد لولده, ودعوة المسافر, ودعوة المظلوم», وهو حديث حسنٌ ثابت عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: والأحاديث الواردة في دعوة الإمام العادل, كما جاء عند الترمذي من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثلاثة لا تُرد دعوتهم: الصائم حين يُفطر, والإمام العادل, ودعوة المظلوم, يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء, يقول الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين».

وهو حديث ثابت عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: والأحاديث الواردة في إجابة دعوة من دعا الله باسمه الأعظم, كما جاء في حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: دخلت مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسجد ويدي في يده, فإذا رجل يقول: اللّهم إني أسألك بأنك أنت الله الواحد الأحد الصمد, الذي لم تلد ولم تولد, ولم يكن لك كفوًا أحد, فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لقد دعا الله تعالى باسمه الأعظم, الذي إذا سُئل به أعطى, وإذا دُعي به أجاب».

قال: وغير ذلك كثير, وجميع ذلك على اختلاف دلالته متواتر.

ثم قال بعد أن ذكر هذه الأحاديث:

فليت شعري كيف ذهب جماعة من أهل العلم إلى مخالفة ذلك كله, وقالوا: إن أحكام الله وقضائه في سابق علمه لا تتغير أصلًا؟

والشيخ هنا يريد أن يقول: إن ما قضاه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وقدَّره في الأزل مما كتبه في اللوح المحفوظ يتغير ويتبدل, يكتب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى شيئًا فإذا دعا العبدُ بدعاءٍ ما غيَّره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى, فيقول: كيف ذهب جماعة من أهل العلم إلى مخالفة ذلك كله, وقالوا: إن أحكام الله وقضائه في سابق علمه لا تتغير أصلًا؟!

وهذا القول الذي ذهب إليه العلامة الشوكاني لا شك أنه قول مرجوح؛ لأن هذا القول ؛ أن قضاء الله المبرم في اللوح المحفوظ يتغير؛ يلزم منه إثبات النقص لله تعالى في صفاته, إذ يلزم منه البداء, وهو ظهور علم بعد خفائه, فظهر لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى شيء لم يكن يعلمه فغيَّر قضاءه السابق الذي قضاه, وهو القضاء المبرم, وهذا نوع جهل, والله عَزَّ وَجلَّ منزه عن الجهل, وهو تعالى عليم خبير, أحاط

بكل شيء علمًا وأحصى كل شيءً عددًا, يعلم الأمور سابقها ولاحقها, وما هي عليه الآن, بل ما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنعام: 27], هذا حال أهل النار إذا وُقِفوا على النار, يقولون: يا ليتنا نُرد إلى الحياة الدنيا مرة أخرى فنؤمن بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ولا نُكذِّب بآيات الله عَزَّ وَجلَّ ونكون من المؤمنين, فقال الله عَزَّ وَجلَّ: ﴿ بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الأنعام: 28].

فأخبر الله عَزَّ وَجلَّ عن الشيء الذي لم يقع كيف سيكون إذا وقع, وهذا لشمول علمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فالقول بأن قضاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى المبرم السابق المبني على علمه الأزلي يتغير يكون بعد أن لم يكن: هذا قول ضعيف وقول مرجوح, ويرُد عليه هذه النصوص التي ذكرناها وسنذكرها.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفتاوى: " فَلِهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: إنَّ الْمَحْوَ وَالْإِثْبَاتَ: يعني التغيير, إنما يكون فِي صُحُفِ الْمَلَائِكَةِ, وَأَمَّا عِلْمُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَلَا يَخْتَلِفُ وَلَا يَبْدُو لَهُ" ما معنى لا يبدو له؟ أي لا يطرأ عليه البداء, ولا يبدو له مَا لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِهِ, فَلَا مَحْوَ فِيهِ وَلَا إثْبَاتَ.

ولذلك قال الله عَزَّ وَجلَّ: ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [ق: 29].

قال: فإن استدلوا بمثل قوله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [ق: 29], وما ورد في اللوح المحفوظ وما كُتب فيه, وأنه قد حق القضاء ونحو ذلك: فأي فائدة في مثل قوله عَزَّ وَجلَّ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60]؟

أي إذا قلتم: إن قضاء الله السابق لا يتغير ولا يتبدل والمؤلف رحمه الله يُطلق القضاء دون تفصيل فيه, فما فائدة أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الشرعي لعباده بدعائه؟ وكيف نوفِّق بين ذلك وبين ما ورد في النصوص من استجابة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لبعض عباده لمَّا دعوه؟

يقول: فأي فائدة في مثل قوله عَزَّ وَجلَّ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60]؟ فإن هذا أمر مه لعباده بدعائه, وأي فائدة في أمر رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن يُخبر عباده بأنه قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه؟ وأي فائدة في قول الله عَزَّ وَجلَّ مخبرًا لعباده: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: 39]؟

كيف وقد علَّمنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كيف ندعو في نحو قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: 286], إلى آخر الآية, وحكى لنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما ثبت في الصحيح أن الله عَزَّ وَجلَّ قال عن هذه الدعوات: «قد فعلت»؟ وكذلك سائر ما قصه الله علينا في كتابه من إجابته لدعوة أنبيائه كما قال عَزَّ وَجلَّ: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ [يوسف: 110], أي كُذبوا من قِبل أقوامهم, لا مِن قِبل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى, ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يوسف: 110], وفي مثل قول الله

تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: 7].

قال: وما يشابه ذلك من الآيات, وما شوهِد من نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من إجابة دعواته في مواطن يتعسَّر إحصاؤها, كما جاء في حديث الأعرابي الذي دخل على رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهو يخطب خطبة الجمعة, فقال: يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا, فدعا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورفع يديه إلى السماء, وما في السماء قَزعة, قال: فو الذي نفسي بيده ما وضعها حتى سار سحابٌ كأمثال الجبال, ثم لم ينزل عن المنبر حتى رأيت الماء يتحادر على لحيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى فأجابه, قال: وما شوهِد من صالحي هذه الأمة في كل قرنٍ من القرون من إجابة دعواتهم في الحال, قال: ومن جهل هذا أو بعضه نظر في مثل حلية الأولياء ففيها كثير من هذه الكرامات التي أجراها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على يد أوليائه.

منها ما هو صحيح ثابت ومنها غير ذلك, الشاهد: أن فيها ما يدل على أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يجيب دعاء أوليائه الصالحين.

قال: ومثل رسالة القشيري, ومثل صفوة الصفوة لابن الجوزي, وغير ذلك مما يكثر تعداده, بل ينظر الدعوات المجابة من الصحابة رضي الله عنهم كما دونَّاه في البحث الذي قبل هذا, وهو بحث الاستدلال على ثبوت كرامات الأولياء, أو بحث في ثبوت كرامات الأولياء كما هي عقيدة أهل السُنَّة والجماعة.

قال: كما وقع مع جماعة كثيرة من السلف رحمهم الله أنهم كانوا يقولون في أدعيتهم: اللّهم إن كنت قد كتبتني في ديوان الأشقياء فانقلني إلى ديوان السعداء, وهذا ثابت عن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وعن عبد الله بن مسعود كما ذكره ابن جرير في تفسيره.

قال: بعبارات مختلفة هذه أحدها, قال: وبالجملة فالكتاب العزيز والسنة المتواترة ترد عليهم ردًا أوضح من شمس النهار, فهذا الذي ذكره المصنف رَحِمَهُٱللَّهُ عن هذه الطائفة:

الطائفة الأولى التي تقول: إن قضاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الأزلي لا يتغير ولا يتبدل؛ لأن الله عَزَّ وَجلَّ لا يُبدَّل القول لديه, وكتب ذلك في أم الكتاب, فسمع المؤلف هذا من طائفة من أهل العلم, فقال: هذا قول ضعيف يرده هذه الآيات والأحاديث التي ذكرناها في فضل الدعاء, وفي إجابة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى للدعاء.

ثم ذكر قولًا آخر سمعه لبعض أهل العلم وضعفه أيضًا وهو القول الصحيح.

قال: وطائفة قالت: إن الأقضية على نوعين, يعني ما قضاه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وقدَّره في الأزل على نوعين:

مطلقة ومقيدة, وهي التي نقول عنها كما سماها بعض علمائنا: القضاء المُبرم والقضاء المعلق, فالقضاء المعلق يُعلق على سبب, ويقع بوقوع هذا السبب.

قال: فالمطلقة: ما لم تكن مشروطة بشرط, أي أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قدَّر أن فلانًا سيُرزق في يوم كذا دون عملٍ منه: فهذا قضاءٌ مُبرم, وقضى أنه سيُرزق إن

خرج للعمل وسعى في التجارة: فهذا قضاء معلق, معلق على ماذا؟ على الأخذ بالأسباب, أخذ بالسبب وقع ما قضاه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وقدَّره.

وهذا التعليق إنما يكون في حق العبد وفي حق الملائكة, وأما القضاء عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فهو مبرم على كل حال؛ لأنه يعلم الذي سيقع من العبد هل سيأخذ بالأسباب أم لا يأخذ بالأسباب.

فقال: إن طائفة من أهل العلم قسموا القضاء إلى قسمين: إلى قضاء مطلق وهو القضاء المبرم, وهو الذي لا يُبدَّل القول فيه ولا يُغيَّر من قِبل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ لأن تبديله يستلزم البداء ويستلزم نسبة عدم العلم إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى, وهذا نقص, وقضاء مُقيد معلق.

قال: وهذا القول وإن كان مردودًا مثل الأول, يعني رد هذا القول؛ إلا أنه أقل مفسدة منه, وإن كان رأيًا بحتًا ليس عليه دليل.

قلت: بل كل ما ذكره المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الآيات والأحاديث هي أدلة على هذا القول؛ لأنها أسباب, ولذلك عندكم قول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي قال فيه في أول هذه الرسالة في الحاشية: قال في الجواب الكافي: وَهُوَ أَنَّ هَذَا الْمَقْدُورَ قُدِّرَ بِأَسْبَابٍ، القدر المعلق قُدِّر بأسباب, وَمِنْ أَسْبَابِهِ الدُّعَاءُ، فَلَمْ يُقَدَّرْ مُجَرَّدًا عَنْ سَبَبِهِ، وَلَكِنْ قُدِّرَ بِسَبَبِهِ، فَمَتَى أَتَى الْعَبْدُ بِالسَّبَبِ وَقَعَ الْمَقْدُورُ، وَمَتَى لَمْ يَأْتِ بِالسَّبَبِ انْتَفَى الْمَقْدُورُ، وَهَذَا كَمَا قُدِّرَ الشِّبَعُ وَالرِّيُّ بِالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ, وَقُدِّرَ الْوَلَدُ بِالْوَطْءِ، وَقُدِّرَ حُصُولُ الزَّرْعِ بِالْبَذْرِ، وَقُدِّرَ خُرُوجُ نَفْسِ الْحَيَوَانِ بِذَبْحِهِ، وَكَذَلِكَ قُدِّرَ دُخُولُ الْجَنَّةِ بِالْأَعْمَالِ، وَدُخُولُ النَّارِ بِالْأَعْمَالِ، وَحِينَئِذٍ فَالدُّعَاءُ مِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ، فَإِذَا قُدِّرَ وُقُوعُ الْمَدْعُوِّ بِهِ بِالدُّعَاءِ لَمْ يَصِحَّ أَنْ يُقَالَ: لَا فَائِدَةَ فِي الدُّعَاءِ.

والمصنف عندنا قال: فما فائدة هذه الآيات والأحاديث؟

ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: لا يصح هذا القول, كَمَا لَا يُقَالُ: لَا فَائِدَةَ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَجَمِيعِ الْحَرَكَاتِ وَالْأَعْمَالِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْأَسْبَابِ أَنْفَعَ مِنَ الدُّعَاءِ، وَلَا أَبْلَغَ فِي حُصُولِ الْمَطْلُوبِ.

فهذا القدر المعلق يقع إذا وقع سببه, وهذا له أمثلة في سنة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كذلك:

كقول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «من أراد أن يُبسط له في رزقه, وأن ينسأ له في عمله فليصل رحمه», فبسط الرزق والسعة في الرزق مرهون بصلة الرحم, فإذا وصل المرء رحمه وسع الله عليه في الرزق توسعة حقيقية على الراجح من أقوال أهل العلم.

وإذا لم يصل رحمه كان ما قدره الله عَزَّ وَجلَّ له في الأزل من رزق.

فالله عَزَّ وَجلَّ قدَّر له في الأزل في الرزق ألف جنيه في الشهر, لكن لو وصل الرحم الله عَزَّ وَجلَّ سيعطيه خمسة آلاف جنيه, فهذه الزيادة معلقة بماذا؟ بصلة الأرحام تقع بوقوع سببها وتنتفي بانتفاء سببها, وكذلك الزيادة في العمر, وأن يُنسأ له في أثره, فهذه الزيادة زيادة حقيقية.

فالله جَلَّ وَعلا إذا بعث الملك للجنين في بطن أمه أمره بكتب كلمات أربعة, من هذه الكلمات: أن يكتب عمره, فهو مكتوبٌ أنه سيعيش ستين سنة, لكن الله عَزَّ وَجلَّ علَّق عشرين سنة على صلة الأرحام, فلو وصل رحمه عاش ثمانين سنة, فهذه الزيادة معلقة بسببها، وهو سبحانه يعلم هل سيأتي بسبب الزيادة أم لا.

كما جاء في حديث آدم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الذي عند الترمذي: لما نثر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ذريته أمامه, فطلب أن يرى الأنبياء من ذريته, فجعل الله عَزَّ وَجلَّ للأنبياء نورًا, يراهم آدم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ, فرأى بصيصًا, أي نورًا ضعيفًا, فقال: مَن هذا؟ فقيل له: هذا ولدك داوود, فقال آدم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: كم له من العمر؟ فقيل له؟ ستون عامًا, فوهبه آدم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أربعين عامًا, حتى إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لمَّا قضى أن يعيش آدم ألف سنة وأعلمه بذلك, فلما ذهب إليه ملك الموت ليقبض روحه قال: بقي أربعون عامًا, يقول: أنا عشت ألفًا إلا أربعين عامًا, فذُكِّر بأنه وهبها لولده داوود, فنسي آدم فنسيت ذريته, وجحد آدم فجحدت ذريته, كما أخبر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بذلك.

فكان عُمر داوود الأربعين, ثم أخذ الستين, والله تعالى يعلم ما كتبه له وما يزيده إياه بعد ذلك, والملائكة لا علم لهم إلا ما علَّمهم الله, فالله يعلم ما كتبه أزلًا وما يترتب على هذا القضاء المعلق.

قال: وهذا القول وإن كان مردودًا مثل الأول, إلا أنه أقل مفسدة منه, يعني تقسيم القدر إلى قدر مبرم وقدر معلق, قلنا: هذا هو الصحيح.

وإن كان رأيًا بحتًا ليس عليه دليل.

وبالجملة: فالبحث يطول, فلنقتصر على هذا المقدار.

والحمد لله أولًا وآخرًا, والصلاة والسلام على رسوله وآله, الحمد لله, كمل للحقير: أحمد بن محمد الشوكاني, غفر الله لهما, أي له ولأبيه.

غفر الله لهما, جزى الله مؤلفه أفضل الجزاء, ونفعه بعلمه النافع في دار البقاء, وتغشَّاه برحمته ورضوانه, آمين.

بقي لنا أن نذكر كلامًا للشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه المسألة, لما سُئل: هل الدعاء يغيِّر ما كتبه الله على الإنسان؟ فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: الدعاء لا يغير, القدر نافذ, إذًا القدر في أصله علم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الذي قدره, قدره النافذ أو الأزلي نافذ لا يتبدل ولا يتغير.

قدر الله نافذ لا يرده شيء, يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: 49], ويقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة».

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فالقدر ماضٍ ولا يغيره شيء, لكنه قد يكون قدرًا محتومًا غير معلق على سبب يفعله العبد أو يتركه, وقد يكون معلقًا على أسباب يقع بوقوعها, كالشفاء عند الدعاء أو عند الذهاب إلى المستشفى, وكطلب الرزق للتجارة والسعي, فرزقك الكوني القدري عُلِّق على هذه الأسباب الشرعية, فأنت بهذا العمل لم تخالف القدر, بل صادفته ووافقته, وكلٌّ سبق في علم الله.

ثم ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديثين عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

الحَدِيث الأول: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئل: إن لنا رُقى نسترقي بها ودواءً نتداوى به, وهذا الحَدِيث كالنص في المسألة, والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئل: إن لنا رُقى نسترقي بها ودواءً نتداوى به, فهل هذا من أقدار الله؟ لأن الرقى من أجل الشفاء, والدواء من أجل الشفاء, والله عَزَّ وَجَلَّ قدر في الأزل المرض على العبد.

فهل هذه الرقى كذلك من أقدار الله؟ فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هو من قدر الله», فالمرض من قدر الله, والأخذ بأسباب الشفاء من قدر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وأما الحَدِيث الثاني الذي ذكره فهو حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمَّا وردوا على الطاعون, فاستشار أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, فقال له أبو عبيدة لما أراد أن يرجع, قال: أفِرارًا من قدر الله؟ قال: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة, ثم قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نفر من قدر الله إلى قدر الله.

فالذي قدره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في الأزل وقوع الطاعون, والإنسان قد يصاب به, لو فر من هذا الطاعون ونجا منه: فهذا كذلك مقدر مكتوبٌ وهو سببٌ معلق عليه هذا القدر المعلق.

هذه الفتوى جاءت في فتاوى الشيخ في برنامج نور على الدرب.

سئل كذلك الشيخ فركوس حفظه الله: هل يتغير القدر بالدعاء؟ فقال: بعد الحمد لله, والصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

قال: الدعاء من جملة الأسباب التي لها تأثير في مسبباتها, لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يرد القضاء إلا الدعاء, ولا يزيد في العمر إلا البر», وهذا حسنه الألباني في الصحيحة.

فالدعاء سببٌ في رد الأمر المقدر, والبر سبب في الزيادة في العمر, الذي كان يقصر لولا بره, فالدعاء والبر وغيرهما من الأسباب التي لها تأثير في تغيير الأمر المقدر, غير أن ذلك التغيير هو أيضًا مكتوب سببه الدعاء, فلا يخرج عما قدره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كالدواء للمريض فهو سبب في الشفاء, وله تأثير فيه, لكن لا يخرج عما قدره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 49].

والعلم عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

أقول قولي هذا, وأستغفر الله لي ولكم, وجزاكم الله خيرًا.